

الفصل الثالث

المناظر التصويرية على

الفنون التطبيقية الأيوبية

- ١ - مناظر الطرب.
- ٢ - المناظر الرياضية.
- ٣ - مناظر الحرث والزراعة.
- ٤ - مناظر السيدات.

obeikandi.com

المناظر التصويرية على الفنون التطبيقية الأيوبية

تعددت المناظر التصويرية على الفنون التطبيقية الأيوبية فظهرت الرسوم الأدمية على منتجات هذا العصر فى وضعيات مختلفة منها:

مناظر الطرب^(١) والموسيقى

ظهرت مناظر الطرب والموسيقى على العديد من التحف المعدنية الأيوبية وكذلك التحف الخزفية الأيوبية، ورسمت عليهما رسوم الموسيقيين والموسيقيات مع آلاتهم الموسيقية المختلفة مثل العود، والقيثارة، والدف، والناي، وغيرها كما ظهرت مناظر الراقصين والراقصات فى وضعيات مختلفة بالإضافة إلى مناظر رجال البلاط من حيث ظهور الأمير الجالس على العرش يحيط حوله الحراس والخدم والمغنيين والموسيقيين ويتقدمه غالبا رسوم الحيوانات ولاعبى البهلوانات^(٢).

فظهر على جزء من طبق من الخزف دقيق الصنع وعليه رسم شخص فى جلسة شرقية وتظهر تفاصيل الملابس الذى يرتديها والتي تشابه مع مثلتها على المخطوطات^(٣).

وتشابه مع القطعة السابقة قطعة من نفس النوع يظهر عليها رسم شخصين يمسك كل منهما بيده كأس وبينهما زخارف نباتية^(٤).

(١) لم يخلو مجتمع سلاطين الأيوبيين و المالك من هذه الظاهرة، بل جرت العادة كذلك على أن يكون لكل سلطان أو أمير جوقة من المغاني فى داره، كما أقبل بعض السلاطين على تقريب أرباب الموسيقى و الغناء من مجالسه، و يعد الرقص من أهم مستلزمات مجالس الشراب و الطرب التي كانت تعقد فى قصور الطبقة الحاكمة. راجع: ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١١، القرزى، الخطط، ج ٢، ص ٥٣، المسعودى، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥١، ابن حجر، الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة، حيدر اباد، ١٩٢٩، ج ٣، ص ٢٦٥، ابن تفرى بردى، النجوم، ج ٥، ص ١٧٨، احمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ج ١، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) كانت تعقد مجالس الشراب و الطرب فى البساتين و المتزهات و أبناء القصور، و تدار فيها كنوس الخمر التي حلت محل ماء البورد المذكور فى قصائد العرب، رغم نهى القرآن عن تناولها، و استمرت مجالس الشراب و الطرب من الامور المألوفة فى العصر الأيوبي. راجع: أحمد بن عبد الرازق، وسائل التسلية، ص ٨٦ - ٩٠.

(٣) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم: ٥٣٧٩.

(٤) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم: ٦٠٠٩ / ١.

قطعة أخرى من الخزف دقيق الصنع أو الخزف الأيوبي^(١) رسم عليها شخص جالس يمسك بيده اليمنى كأسا ويزخرف ملابسه زخرفة هندسية قريبة الشبه برقعة الشطرنج^(٢).

كما ظهرت مناظر من الدين المسيحي تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم بالإضافة إلى ظهور مناظر الألعاب الرياضية مثل لعبة الكرة^(٣) والصولجان^(٤) (البولو) ومناظر لعبة المصارعة وألعاب الفروسية ورياضة الصيد وغيرها من المناظر التي انعكست فيها صورة المجتمع الأيوبي المحارب في أوقات الحروب المسالم في أوقات السلم وقد حرص الفنان الأيوبي على تصوير مناظر الألعاب الرياضية باختلاف أنواعها على متجاته الفنية، فقد ظهرت مناظر لعبة الكرة والصولجان (البولو)، والمصارعة، وألعاب الفروسية، - والتحطيب، ورياضة الصيد على النحو التالي:

ويذكر «المقريزي» أن هذه اللعبة كانت من عجائب مصر والاسكندرية حيث كانوا يجتمعون في الملعب يوم في السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع في حجر أحد إلا ملك مصر. وقد وافق دخول عمرو بن العاص الأسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم، ولهم أكرة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقفونها بأكامهم، وحدث أن وقعت الكرة واستقرت في كم عمرو بن العاص^(٥).

(١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة سجل رقم : ٥٣٧٩ / ٣ . وتوجد بمتحف الفن الإسلامي مجموعة من الشقاقات من الخزف دقيق الصنع رسم عليها مناظر أدمية في مناظر طرب وشراب ووضعيات أخرى منها القلع التالي أرقام سجلها ٥/٥٣٧٩ ، ٤/٥٣٧٩ ، ٥/٥٣٧٩ ، ١٠/٥٣٧٩ ، ٥٣٧٩ ، ٦١٤٣ ، ٣٩٠٢ / ٢٤ ، ٢/٥٣٧٩ ، ٦١٤٢ ، ١٢/٥٣٧٩ ، ٨/٥٣٧٩ ، ١٧/٥٣٧٩ ، ٦٠١٠ / ٣ ، ١٥/٥٣٧٩ .

(٢) شطرنج بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة (لنتان) والشطرنج كلمة فارسية معربة . راجع : عبدالعزيز صلاح، الرياضة عبر العصور، ص ١٣٧ .

(٣) راجع : عبد العزيز صالح، التربية والتعليم في مصر القابلية، القاهرة ١٩٦٦، ص ١١٤

(٤) الصولجان: اسم فارسي يطلق على العصي التي تستعمل في اللعبة، وهو معكوف في جزئه العلوي، ولقد كان هناك اختلاف بين الصولجان التي يستخدمها السلاطين وغيرها التي يستخدمها الأمراء أو الجوكان: وهو المحجن الذي تضرب به الكرة وهو عبارة عن عصي مدعونة أطوالها نحو أربعة أذرع ويرأسها خشبة مخروطية محدبة تنيف عن نصف ذراع. راجع: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٥٨، السبكي، معبد النعم، ص ٣٤، أحمد عبدالرازق، وسائل التسلية عند المسلمين، دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري، مج ١، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

(٥) راجع: المقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٥٨

وكذلك استمرت هذه اللعبة في عهد الطولونيين ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨-٩٠٤م وقد جعل أحمد بن طولون في قصره بمدينة القطائع ميدانا فسيحا يلعب فيه البولو مع رجال بلاطه وأيضا انتشرت رياضة البولو في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م وكان الخليفة العزيز أول من ضرب بالصوالمجة^(١).

وكذلك فقد كان نور الدين محمود من أحسن الناس لعباً للكرة ومحباً لها وأقدرهم عليها^(٢).

ويذكر «أبو شامة» أن نجم الدين أيوب كان شديد الرخص ولعا بلعب الكرة بحيث من يراه يلعب بها يقول ما يموت إلا من وقوعه عن الفرس^(٣).

وأيضاً كان «صلاح الدين أيوب» ماهراً في لعب الكرة وكان يفوق أقرانه في إجادة هذه اللعبة^(٤)، وكان دائم الخروج إلى بركة الجب للعب الكرة والصيد^(٥).

ولقد كان اهتمام سلاطين دولة بني أيوب عظيماً بممارسة الألعاب الرياضية وبصفة خاصة لعبة الكرة والصولجان^(٦) حيث شيدوا لها الميادين وخصصوا بها أماكن لممارسة تلك اللعبة منها مايلي:

ميدان الرميطة

اقترن عهد الدولة الأيوبية ببناء ميدان الرميطة الذي أطلق عليه عدة أسماء منها: ميدان صلاح الدين، ميدان القلعة، ميدان قره ميدان، ميدان المنشية وغيرها. وكان هذا الميدان في الأصل من بقايا ميدان أحمد بن طولون ٢٥٦ هـ /

(١) راجع: البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٥١ - ١٥٢. ابن ميسر، اخبار مصر، ج ٢، تحقيق: هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩م، ج ١، ص ١٧٦.

(٢) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠م، ج ١، ص ٨.

(٣) ولقد كانت سبب وفاة نجم الدين أيوب ووقوعه من على الفرس أثناء لعبة الكرة. راجع: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، ص ١٤٩ - ١٥١.

(٤) راجع: Abd El-Raziq A., Deux Jeux., p. 111.

(٥) راجع: السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٨٨م، ص ٣٢.

(٦) Mercier L., La Chasse et Les Sports, p. 223.

٨٦٩ م ويقع أسفل القلعة ويحدده سور ما تزال بعض آثاره باقية^(١) وأول من ابتداء البناء في هذا الميدان هو (الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ٦١١ هـ / ١٢١١م) حيث عمر إلى جانبه بركا ثلاثا وأجرى إليه الماء، ثم تعطل مدة حتى اهتم به الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد وكذلك اهتم به الصالح نجم الدين أيوب فجدد له ساقية، وأنشأ حوله الأشجار .

وقد بلغ من شغف السلطان الصالح نجم الدين أيوب أن شيد الميدان الصالحي ٦٤٣ هـ / ١٢٤٣م وكان هذا الميدان يخصص للعب الكرة وكان الميدان الصالحي بأراضي اللوق من بر الخليج الغربى وصار يركب إليه ويلعب فيه الكرة كما استمر لعب الكرة في هذا الميدان بعد الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٢) .

وانعكس شغف السلاطين والأمراء في العصر الأيوبي بلعبة الكرة والصولجان على المنتجات الفنية فقام المصورون والنقاشون بتصوير هذه اللعبة على المنتجات الفنية كما يتضح ذلك على الأمثلة الآتية :-

يحتفظ القسم الإسلامى بمتحف برلين بقينينة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها ٢٨ سم ، ومحيطها ٥٩ سم وعليها تذهيب والمينا متعددة الألوان ويحتوى على شريط عريض رسم عليه مناظر تصويرية ظهرت بكثرة على منتجات العصر الأيوبي وهى مناظر للعبة الكرة والصولجان (البولو)^(٣) حيث رسم اثني عشر فارسا من لاعبي الصولجاجة^(٤) . (لوحة ٣٩)

(١) استمر هذا الميدان حتى هدمه الملك المعز ابيك ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م وفى عام ٧١٢ هـ / ١٣١٣م أعاد الناصر محمد بن قلاوون عمارته وأنشأ حوله سور حجري، ولعب فيه الكرة مع امرائه وخلع عليهم . وظل يلعب فيه الكرة يومى الثلاثاء والست بالإضافة إلى استخدامه فى تأدية صلاة العيدين ثم استخدمه السلطان برقوق ٧٨٤ - ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨م كمحكمة وجلس السلطان برقوق بالميدان للنظر فى أحوال الرعية، والحكم بين الناس واستمر فى ذلك يومى الاحد والاربعاء . كما اهتم به بعض ولاء العصر العثمانى من حيث تعميره وتجديده . راجع: للقريزى، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٨ - ٢٢٩، ابن تفرى بردى، النجوم، ج ١٢، ص ٨، عبد العزيز صلاح، الرياضة، ص ٣

(٢) راجع: للقريزى، الخطط، ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٧، ابن تفرى بردى، النجوم، ج ٤، ص ٤٩. Abd Ar-Raziq A., Deux Jeux., pp. 111 - 114; Aylon D., Notes., p. 38.

(٣) ومن أمثلة النصف المعدنية التى وضحت هذه اللعبة طست الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو طست من البونز المكفت بالفضة محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم ١٥٠٤٣ . طست آخر له من البونز المكفت بالفضة محفوظ بمتحف الفريير جاليرى . راجع: Abd Ar-Raziq A., Deux Jeux., pp. 129 - 130.

(٤) كما ظهرت مناظر هذه اللعبة على ابريق ابراهيم بن مواليا محفوظ بمتحف اللوفر رقم ١٣٤٣٥ . وأيضا ظهرت هذه اللعبة على تحف ملكية منها طست من النحاس المكفت بالفضة باسم «فاطمة ابنة الأمير سقر الأعسر» اواخر ق ١٢ هـ / ١٣م محفوظ بمتحف بناكى باثينا، قنينة من الزجاج المموه بالمينا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تنسب إلى مصر أو سوريا ق ١٣ هـ / ١٣م راجع: احمد عبدالرازق، وسائل التسلية، ص ١٠٩ . عبد العزيز صلاح، الرياضة عبر العصور، ص ٢٥١.

كما كانت المصارعة في العصر الإسلامي^(١) محببة إلى نفوس السلاطين والأمراء وعامة الناس حيث احتلت مكانة كبيرة بحيث صورت على التحف الفنية، وكذلك على المخطوطات ويمكن القول أن الرياضة البدنية بفروعها وأصولها إنما هي مأخوذة أصلاً من ضروب الرياضة البدنية عند العرب في عصر الجاهلية والإسلام ومن تعاليم النبي ﷺ^(٢).

وقد ظهرت أول إشارات صحيحة حول لعبة المصارعة في العصر الفاطمي فكانت المصارعة تتم بين إنسان وإنسان وبين إنسان وحيوان، وأصبحت من الرياضات الشائعة في هذا العصر حيث كانت ذات طابع شعبي يحضرها حشد من الناس^(٣).

وتظهر رياضة المصارعة على طبق ذى البريق المعدني^(٤) يمثل المنظر رغم عدم تكامله نظراً لفقد بعض أجزائه مصارعة بين شايبين ملتحيين حيث يظهر كل منهما وقد ارتدى سرواً طويلاً كما يحيط حولهم عدد من الجمهور الذين يبدو على وجوههم علامات الانبهار والإعجاب، ويظهر أحدهم وقد تمكن من منافسه فوضع رأسه تحت ذراعيه وضغط عليها، وفي نفس الوقت الذي يحاول فيه اللاعب الآخر دفع منافسه لتخفيف قوة ضغط يديه على ذراعيه وأن كان يظهر على وجهه الإجهاد والأعباء^(٥).

كما يظهر منظر آخر للمصارعة بين شايبين على الورق^(٦) ترجع إلى مصر في أواخر القرن ٦هـ / ١٢ م وبداية القرن ٧هـ / ١٣ م، ويمثل المنظر مصارعة بين اثنين فعلى الرغم من أنه لا يظهر سوى شخص واحد بشكل متكامل والشخص الآخر لا يبدو منه سوى ذراعه الأيمن، وساقه إلا أنه يوضح الحركات الأولى

(١) راجع: عبدالعزيز صالح، التربية والتعليم، ص ١١٤.

(٢) ثبت أن النبي ﷺ مارس بنفسه رياضة المصارعة. راجع: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق/ محمد فهمي السرجاني، دار التوفيق للطباعة بالازهر، ص ٢٥٩.

(٣) عبد النعم سلطان، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دار المعارف، ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢١٤.

(٤) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة رقم: ٩٦٨٩.

راجع: Ettinghausen R., La Peinture Arabe., P. 55.

(٥) راجع: أحمد عبدالرازق، وسائل التسلية، ص ١٠٢.

(٦) محفوظة في المتحف الإسلامي بالقاهرة رقم: ٩٦٨٩.

المتبعة عند بداية مباريات المصارعة حيث يحاول كل من المصارعين السيطرة على الخصم فيلاحظ على وجه المصارع اليقظة والحيلة والحذر من الخصم كما يظهر السروال المستخدم فى رياضة المصارعة^(١) (لوحة ٤٠).

كانت المصارعة فى العصر الأيوبي من المزايا التى ينبغى أن تكتمل فى الفارس الحق، وكانت تحدد من ناحية الترويض الجسدى فالقوة البدنية والإمام بفن مواجهة العدو^(٢).

ولقد انعكس اهتمام السلاطين والأمراء فى العصر الأيوبي برياضة المصارعة بتصويرها على التحف التطبيقية^(٣).

ويلاحظ أن كلاهما قد ارتدى الملابس الخاصة برياضة المصارعة من حيث وجود سروال المصارعة التبان^(٤) المعروف للجزء السفلى من الجسم ثم ملابس خفيفة وشفافة للجزء العلوى لاحدهما فى حين الآخر لا يرتدى ملابس فى الجزء العلوى من جسمه^(٥).

ولقد احتلت ألعاب الفروسية^(٦) المكانة الكبرى بين الألعاب الرياضية فى مصر الإسلامية بصفة عامة وبمصر الأيوبية بصفة خاصة، وذلك نظراً للطبيعة

(١) عبدالعزيز صلاح، الرياضة، ص ٢٢١.

(٢) محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي فى عهد صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ١٥٥.

(٣) ظهرت هذه الرياضة على إحدى جامات السطح الخارجى على بدن طست الملك العادل ابي بكر. الطست محفوظ فى متحف اللوفر بباريس رقم ٥٩٩١.

(٤) يعتبر التبان (التبان: بالضم، والتشديد وهى سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط) هو اللباس الوحيد للمصارعين فى الشرق، ويتضح من تصاوير المخطوطات ورسوم مناظر المصارعة على مواد الفنون التطبيقية ان التبان هو الزي الرسمى للعبة المصارعة ومن التبان القصير ومنه الواسع الفضفاض. راجع: Dozy R.P. A., Dictionnaire Détaillé Des noms des Vêtements, Amsterdam, 1845, p. 93.

Ibid. (٥)

(٦) راجع: ابي بكر الدمشقي، الفروسية المحمدية، مخطوط، ١٦٠ - ١٦٥، أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٢٥٣، الفتوة، ص ٦٣، الصايب، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد، ١٩٦٤م، ص ٩١، محمد مصطفى، مخطوط فى تعليم فنون القتال والفروسية فى اواخر عصر المماليك الجراكسة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٦، ج ٣، مطبعة دار الكتب الحديثة، ١٩٧١م، ص ١٢١٧ - ١٢٠٠، نبيل عبد العزيز، نشر وتحقيق مخطوط نهاية السؤال والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية، دكتوراة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٢، ص ١٧، محمد كامل علوى، الرياضة البدنية، ص ٥٨ - ٥٩، مؤلف مجهول، مخطوط شرح بغية الرامي، ورقة ٨ - ١٨، طيغنا الأشرفى، شرح غنية الرامي، مخطوط، ورقة ٤٨، السيد ادى شير، معجم الألفاظ الفارسية العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٤٣، عبدالعزيز صلاح، الرياضة، ص ٩٨ - ١٢٢.

الحرية التي اتصف بها العصر الأيوبي، وما صاحب ذلك من ألعاب مختلفة للفروسية، وسباقات الخيل بحيث أضحت من المقومات الأساسية للفرسان . وما يجدر الإشارة به أن ألعاب الفروسية كانت لها مكانة عالية في المجتمع الإسلامي بصفة عامة وفي مصر الإسلامية بصفة خاصة نظرا لارتباطها المباشر بالحروب والإعداد لمواجهة الأعداء، وقد أدت هذه الألعاب إلى جانب دورها الحربي دورا هاما في أوقات السلم فكثيرا ما أقيمت مباريات لألعاب الفروسية حضرها جمع غفير من النظارة وعلى رأسهم السلاطين والخلفاء كما برع عدد من الأمراء الذين تميزوا في ألعابها وتشتمل ألعاب الفروسية على مايلي :-

١ - رياضة سباقات الخيل .

٢ - رياضة المبارزة بالسيف .

٣ - رياضة الرماية .

٤ - رياضة المطاعنة بالرمح .

كما يندرج تحت هذه الأنواع أنواع أخرى نحو لعبة البوس ،ورمي السيف من الرمح، ولعب الترس على الأرض والفرس . وحول رياضة الفروسية .

ولقد تنوعت هذه الألعاب ما بين ركوب الخيل والرمي بالقوس والرمح، والسيف، ولعب الترس على الأرض وعلى الفرس، ورمي البندق، والقبق^(١) .

ولقد أضحت رياضة سباقات الخيل من الرياضات الشهيرة في مصر الإسلامية بصفة عامة^(٢) وعند الأيوبيين بصفة خاصة وقد بلغ الاهتمام بهذه الرياضة إلى حد كبير حيث تباروا في إقامة الحلبات الخاصة بالمسابقات وإعداد الخيول المهرة حتى أصبح يوم السباق بمثابة العيد الذي يبتهج فيه الناس جميعا

(١) راجع: Ayalon D., Notes., p. 50.

(٢) راجع: الشيخ البجيرمي الشافعي، رسالة في أوصاف الخيل، مخطوط، ورقة ٥، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣، ابن الكلبي، انساب الخيل، ص ١٣٣، أبو بكر بن البدر (المعروف بالناصرى)، كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة، مخطوط، دار الكتب المصرية، رقم ٤ فروسية، ابن رسلان، قطر السيل في امر الخيل، مخطوط، ورقة ١٤، ابن هزيل الأندلس، حلية الفرسان، مخطوط، ورقة ٧٣، ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، مادة خيل، ج ٥، مادة فرس، الفيروزي، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٣٤٦، واصف بطرس غالى، تقاليد الفروسية عند العرب، دار المعارف، ١٩٦٠، ص ١٦٨.

على اختلاف طوائفهم ورتبهم بالإضافة إلى الجوائز والهبات التي كانت توزع في مثل هذه الاحتفالات حيث كانت سباقات الخيل على رأس الألعاب الرياضية التي مارسها السلاطين والأمراء الأيوبيين وانعكس ذلك على رسوم الفنون التطبيقية الأيوية فظهر على الخزف الدقيق الصنع أو الخزف الأيوبي رسوم تمثل الخيل^(١) وتشابه مع مثلتها على المعادن الأيوية^(٢).

ومن أهم ألعاب رياضة الفروسية المبارزة بالسيف^(٣) والمطاعنة بالرمح^(٤)، والتي لعبتا دوراً كبيراً في المجتمع الإسلامي في مصر سواء على نطاق المجتمع العسكري أو المجتمع المدني ومن ثم انعكس أثره على رسوم التحف التطبيقية وتصاوير المخطوطات بصفة عامة وعلى التحف المعدنية الأيوية بصفة خاصة. ولقد كانت سيوف العصر الأيوبي ذات نصال مستقيمة وذات حدين وغير مدببة الطرف وهي بذلك تشبه السيوف الأموية والعباسية^(٥).

ولم يصلنا من سيوف العصر الأيوبي^(٦) سوى سيف ينسب إلى نجم الدين أيوب^(٧) طوله ٩٥ سم، وطول نصله ٨٣ سم، وتوجد عليه كتابة محزوزة على أحد وجهي النصل، قرب الواقية نصها:

(١) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة سجل رقم: ٢٥ / ٥٣٨٠.

(٢) راجع: عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٢٥٤ - ٢٥٨.

(٣) راجع: احسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق، ١٩٦٤، ص ٨٦، واصف بطرس غالي، تقاليد الفروسية، ص ٦٠٦، مصطفى عبدالله شحمة، دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان، واربعة سيوف يمانية معاصرة، الناشر مكتب الجامعة للطباعة، ١٩٨٤م، ص ٦ - ٧.

(٤) الرمح: عود طويل في رأسه حربة يطنم بها، ويختلف طول الرمح بين خمس أذرع وسبع، وربما زاد على ذلك والرمح قديم العهد وكثير الأنواع، أما السهم يكون من عود رفيع من شجر صلب في طول النزاع تقريبا. راجع: الفاكهي، مناهج السرور والرشاد، مخطوط، ورقة ٥٨ - ٥٩، النوري، نهاية الأرب، ص ٣٢٥، محمد كامل علوي، الرياضة البدنية، ص ١٢٢.

(٥) راجع: اوتصال بوجل، السيوف الإسلامية وصناعتها، الكويت، ١٩٨٨م، راجع: Zaky A., On Islamic Swords, Studies in Islamic Art and Architecture in Honour of Prof. K.A.C. Creswell, the American Univ. in Cairo, 1965, pp. 271 - 273.

(٦) يكثر مؤرخو العصر الأيوبي الحديث عن خزائن المتاحف المحرقة في قلاع الشام ومصر ومن هؤلاء ابو عبدالله بن محمد الشهير بحمد الدين الكاتب الاصفهاني عند كلامه عن الملك العزيز عثمان ٥٩٥هـ / ١١٩٩ - ١٢٠٠م. حيث قال انه لما عاد إلى مصر وشاهد الفتح والنصر - ترك خزنة سلاحه بالقدس كلها، ولم يقدر على حملها ونقلها وكانت احمالا واقبالا، وذخائرا، وعددا، وهورعا، ونصولا، وخوذا، ورامحا، وآلات، وجميع أدوات الحروب. راجع: عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، بدون تاريخ، ص ٦٢ - ٦٣، عبد الرؤف عون، الفن المحرقي في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م، ص ١٢٩.

(٧) نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي توفي في ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م.

«ما عمل برسم نجم الدين» كما نجد قرب الواقية اسم الصانع حيث ترك توقيعه على النحو التالي:

«عمل سالم بن علي»^(١)

ويستدل من واقية هذا السيف أن المقبض كان نموذجاً مبكراً لمقابض السيوف المملوكية السورية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي^(٢).

كما يتشابه السيف السابق مع رسوم السيوف على تصاوير المخطوطات والتحف التطبيقية خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حيث يظهر السيف ذات النصل المستقيم على التحف والمخطوطات الأيوبية^(٣).

كما ظهر رسم سيف يتشابه بدرجة كبيرة مع شكل السيف في العصر الأيوبي، فيظهر على وجه الورقة ٥٩ من مخطوط مقامات الحريري المؤرخة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م. حيث يظهر الوالي الجالس في مقصورته متربعا في سطوة يحيط به الحراس يحملون سيوفهم على أكتافهم^(٤).

وتمتد أصول رياضة الصيد^(٥) إلى العصر الفرعوني حيث وجد على جدران المقابر مناظر واسعة وعديدة توضح هذه الرياضة^(٦)، وكذلك فهناك العديد من المناظر التي تصور رياضة الصيد والقنص على التحف المعدنية الساسانية حيث يظهر الصياد الذي يمتطي صهوة الجواد ويسير مسرعا في حين تلوز الحيوانات بالفرار من أمامه في نفس الوقت الذي يظهر الصياد وقد شد قوسه وصوب سهمه تجاههم^(٧).

(١) محفوظ في دار السلاح باستانبول، راجع: اونصال يوجل، السيوف، ص ٥٦.

(٢) راجع: ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤م، ص ٥٧.

(٣) راجع: ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤، ص ٥٧، لوحة ٥٩.

(٤) راجع: ثروت عكاشة، فن الواسطي، ص ٥٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥٣٣.

(٦) راجع: وليم نظير، العادات المصرية بين الامس واليوم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص ٦٠ - ٦٦، محمد مصطفى حماد، الرياضة والمدينة، والمواطن، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١، ص ١٩، عبدالعزيز صلاح، الرياضة وأدواتها، ص ٥١ - ٥٢.

(٧) راجع: Maurice S. Dimand, A review of Sassanian and Islamic Metalwork in a Survey of Persian Art, *Ars Islamic*, 8, 1941, pp. 103 - 104.

ولقد استمرت هذه الرياضة عند العرب حيث اعتبروها أهم وسائل التسلية بالإضافة إلى كون الصيد رياضة مفضلة عند الشعوب الشرقية حيث كان معروفا قديماً في الجزيرة العربية، واعتنوا به وأخذوا على عاتقهم العناية به. وعندما جاء الإسلام اعتبر الصيد وسيلة مشروعة من وسائل كسب العيش، وأضاف إلى آدابه ما هو أكرم للإنسان الصائد وأرحم للحيوان المصيد، ولقد أقر الإسلام الصيد فهو في الواقع متعة، ورياضة، واكتساب سواء أكان عن طريق الآلة كالنبلة والرماح أو عن طريق الجوارح كالكلاب، والصقور، ولم يمنع الإسلام الصيد إلا في حالتين: حالة الإحرام بالحج أو العمرة لأنه يكون في مرحلة سلام كامل لا يقتل ولا يسفك^(١).

فقال المولى عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ﴾ .

أما في الحالة الثانية: هي الحرم في مكة لأن الله جعل هذه المنطقة منطقة سلام وأمن لكل كائن حتى يتنقل في أرجائها أو يطير في سماؤها أو يبيت في أرضها فهي كما قال النبي (ﷺ):

« لا يصاد صيدها ولا يقطع شجرها » .

وقد أباح الله سبحانه وتعالى الصيد حيث قال عز وجل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

وقوله عز وجل :

﴿ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْيَاثَةِ ﴾ .

(١) راجع: Hassan Z.M. Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages, Cairo, 1937, p. 10., Abd Ar-Raziq A., La Chasse au Faucon, p. 129.

وعن الأدوات المستخدمة في الصيد فقد ذكر الله عز وجل .
﴿ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ .

ومما سبق يمكن القول بأن الإسلام أجاز ممارسة رياضة الصيد بكافة أنواعها وكذلك باستخدام أدواته على نحو الكلاب، والصقور، والرماح، والسهام، وغيرها من الأدوات المستخدمة في رياضة الصيد^(١) فقد أجاز الإسلام الاصطياد بجوارح السباع وبجوارح الصيد كالباري^(٢)، والشاهين^(٣)، والصقر^(٤).

وبذلك كانت رياضة الصيد والبيزرة^(٥) من أنواع اللهو البرئ الذي أخذ به الخلفاء والأمراء والسلاطين وأهل بطانتهم^(٦)، فقد كان الصيد في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م اعتبارا كبيرا بحيث ظهرت مناظره على مواد الفنون المختلفة مثل الأخشاب والحزف، والعاج، والمعادن، والبلور الصخرى. ثم استمرت رياضة الصيد في مصر يمارسها السلاطين والأمراء حتى وصلت إلى العصر الأيوبي حيث كان صلاح الدين الأيوبي ٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٩٤ م شديد الشغف بهذه الرياضة فكان يخرج للصيد في صحبة أبنائه^(٧). ولقد بلغت رياضة الصيد درجة عظيمة في العصر الأيوبي حيث انعكس أثره على المنتجات الفنية الأيوبية فلم يقتصر الشغف بهذه الرياضة على السلاطين والأمراء بل تعداه إلى الفنانين والمصورين الذين

(١) راجع: قرآن كريم، سورة المائدة، آيات: ٤، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ابن حجر، فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٩، القرطبي، المحلى والحرام، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ عبد العزيز صلاح، الرياضة وأدواتها، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) الباز: هو أخطر طيور الصيد، وللباز عائلة كبيرة مقسمة إلى: البازي، والزرق، والباشق، والعصفى، والبدياق. راجع: النويري، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨٦.

(٣) الشاهين: هو أسرع الجوارح وأخفها جناحا، واسمه بالفارسية «شودابه» وعربته العرب على الفاظ شتى وهو ثلاثة أنواع: شاهين، وقطامي، وانيقى. راجع: الفاكهي، مناهج السرور والرشاد، مخطوط، ورقة ٧٤.

(٤) الصقر: يعتبر الصقر النوع الثالث من طيور الصيد والصقر ثلاثة اصناف وهي: صقر، وكونج، ويؤز، الصقر من الجوارح وان كانت العرب تسمى كل طائر يصيد صقرا. راجع: مؤلف مجهول، القانون في علم البيزرة، مخطوط، ورقة ١٣.

(٥) راجع: مؤلف مجهول، قانون علم البيزرة، مخطوط، ورقات ٩، ١، ١١، سعد ماهر، البيزرة، التاريخ والآثار، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ١٩٧٧م، ص ٩٧، صلاح العبيدي، الصيد والقتص في الآثار العربية من العصر العباسي، جامعة فؤاد الأول، مجلة كلية الآداب، العدد ٣٠٠، ١٩٨١، ص ١٣٦.

(٦) راجع: احمد عبدالرازق، وسائل التسلية، ص ١١٦.

(٧) راجع: Hassan Z.M. Hunting., p. 10., Abd Ar-Raziq A., La Chasse au Faucon., p. 129.

صوراً مناظرها وسجلوا صور ملوكهم وأمرائهم وقد حمل كل منهم طائر الصيد وقد ظهرت مناظر الصيد على التحف الأيوبية. ولعل السبب في ظهور مناظر الصيد بكثرة على التحف الأيوبية يرجع إلى أن كثيراً ما كان السلاطين يطلبون من الفنانين والصناع أن يصوروا صقورهم أو يصوروا مع صقورهم وبازاتهم، وغيرها من الطيور المستخدمة في الصيد بل أنهم كانوا يصطحبونهم في رحلات الصيد نفسها حتى يصوروا وقائع مناظر الصيد على الطبيعة^(١).

وظهرت مناظر الصيد المختلفة على الخزف دقيق الصنع أو الخزف الأيوبي^(٢).

وكذلك تعتبر الموسيقى والتطريب أهم وسائل الصيد التي استعملت منذ أقدم العصور والسبب في اصطحاب الموسيقيين والمغنيين في رحلات الصيد بالإضافة لاستخدامه للتسلية والتخفيف على القائمين بالصيد فقد كان السبب الأساسي منه هو استمالة الحيوانات والطيور^(٣).

وتعتبر الرياضات الذهنية من الرياضات التي شاعت وانتشرت خلال العصر الأيوبي حيث شغف بها كثير من رجال بني أيوب وانعكس أثر ذلك في مجال الفنون الأيوبية ومن هذه الرياضة لعبة الشطرنج فكان سلاطين بني أيوب يتسلون بلعبة الشطرنج مع المقربين إليهم من الأمراء والعلماء والأدباء كما كانت تحمل في أسفارهم كمية من قطع الشطرنج^(٤).

ظهر رسم لرقعة الشطرنج على الخزف دقيق الصنع أو الخزف الأيوبي عبارة عن زخرفة هندسية قوامها رسم مربعات الشطرنج باللونين الأسود والأبيض بالتبادل^(٥) (لوحة ٤١) لقد ظهرت مناظر الحرث والزراعة^(٦) على

(١) صلاح العبيدي، الصيد والقنص، ص ١٣٧.

(٢) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة سجل رقم: ٥٣٨٠.

(٣) صلاح احمد البهنسي، مناظر الطرب في التصوير الإيراني في العصرين التيموري والصفوي، ماجستير، مخطوط، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٧٩.

(٤) راجع: عبدالعزيز صلاح، الرياضة، ص ١٤٠.

(٥) رقم السجل بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة رقم 22374.

(٦) من المعروف أن الزراعة في بلاد الشام كانت تعتمد إلى حد كبير على الأمطار ونزول الغيث، وقد اصطلموا على أن يقولوا للأرض أحمر وأخضر. يصفون بالأحمر الكراب، أي حرث الأرض فيكون لونها أحمر والأخضر أي الزراعة ومن ثم فإن الحراج بالشام يجيى تبعا لمواعيد نزول الأمطار. راجع: أحمد رمضان، المجتمع، ص ١٢٩.

التحف المعدنية^(١) حيث يشاهد رسم فلاح يمسك بالمحراث اليدوى الذى يشبه الجاروف^(٢).

كما ظهرت مناظر الحرث والزراعة على تصويرة من مخطوط كتاب الترياق^(٣) حيث قسمت التصويرة إلى قسمين يظهر فى القسم العلوى من اليمين رسم اثنين من الفلاحين يمسكا بالمحراث اليدوى ويقوما بحرث الأرض ويجوارهما شخص ثالث يقوم بحصاد الزرع فى حين يقترب منهم شخص رابع يحمل الطعام لهم أما الشخص الخامس فهو صاحب الحقول حيث يجلس ويراقب الجميع ، والقسم الأسفل من التصويرة يظهر بها مناظر الفلاحين والحيوانات والجميع يقومون بعملية الحرث والزراعة^(٤).

وأيضاً اهتمت المرأة بزيتها وكانت زينة المرأة فى جميع العصور وفى جميع الأقطار أمراً مرغوباً^(٥). ولقد نزل القرآن الكريم ووجد أن اللين الإسلامى لم يضيق عليهم فى حياتهم الاجتماعية حيث نزلت الآية الكريمة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ صدق الله العظيم.

ويعد هذا الموضوع من الموضوعات التى لم تنفذ بكثرة على مواد الفنون التطبيقية وعلى تصاوير المخطوطات ومع ذلك فقد صورت مناظر النساء فى وضعيات مختلفة على الفنون التطبيقية الأيوبية^(٦).

(١) محفوظ فى متحف كليفلاند:

(٢) يشابه شكل الجاروف هنا مع شكله على تصويرة تمثل أبو زيد السروجى والحارث بن همام وهم يعرون على قرية، حيث يشاهد فى القسم العلوى منها منظر فلاح يحمل الجاروف ويهم بالخروج من داره. من مقامات الحريرى للواسطى المؤرخ فى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م. راجع: ثروت عكاشة، فن الواسطى، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) ظهرت مناظر الحرث والزراعة فى مخطوط كتاب الترياق للجاليئوس، مؤرخ لسنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م، محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم: ٢٩٦٤ عربى. راجع: زكى حسن، اطلس الفنون، شكل ٨٥٩.

(٤) راجع: Rice., the Oldest., pp. 336 - 340.

(٥) راجع: ظافر القاسمى، الحياة الاجتماعية عند العرب، دار الفانس ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص ١٦٨.

(٦) رقم السجل بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة: ١٩١٠٢، ٥٨٨٧، ٦١٤١، ٥٣٧٩/٢٣.